أئمة الدعوة السلفية هم أولى الناس برسول الله صلى الله عليه

خامس عشر : أئمة الدعوة السلفية هم أولى الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم: ثم قال الكاتب: [الوهابية هم شر البرية، نظروا إلى حضرة الرسول نظرة احتقار كنظرة إبليس لآدم -عليه السلام-؛ حيث إنهم جردوه من كل مزاياه التي خصه الله بها: من محبة، ومنزلة، وكرامة، ووجاهة، وقالوا: إن المتوسل بالرسول - صلى الله عليه وسلم - كالمستشفع بالصنم سواء بسواء، لا فرق عندهم بين سيد البشر والحجر .. إلخ]. جوابه: أن نقول: { سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ } . فأئمة الدعوة هم أولى الناس برسول الله - صلى الله عليه وسلم- ينظرون إليه نظرة إكبار واحترام، فلا يصح عندهم الإيمان إلا بالشهادة له بالرسالة والنبوة، ويرون بطلان الصلاة بدون هذه الشهادة، ويعلنونها في الأذان، وفي الخطب، وفي الجمع والأعياد، وفي مؤلفاتهم، ويرون أن محبته مقدمة على النفس والأهل والمال والولد والناس أجمعين، وأن من آثار محبته حب سنته واتباعه والتأسي به، وأنه الواسطة بين الأمة وبين الله، فإنه الذي دعا إلى توحيد الله وعبادته، وهدى الله الأمة على يديه، وأوجب الله على الأمة طاعته وقرنها بطاعة الله في أكثر من أربعين موضعا ، وأمرنا باتباعه، وعلق عليه الاهتداء ومحبة الله ومغفرته، فهو أمينه على وحيه، وخيرته من خلقه، وسفيره بينه وبين عباده. أمر الله الأمة أن يتقبلوا كل ما بَلَغَهُ عن ربهم، ويقنعوا بحكمه، ويرضوا ويسلموا له تسليما، وأمرهم باحترامه في حياته، بقوله: { لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ } . ومدح الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله، ونهاهم عن دعائه باسمه العلم بقوله: { لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا } . وأمر بتوقيره، بقوله: { لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ } . فأئمة الدعوة الذين سماهم هذا الكاتب وهابية، يعترفون للرسول - صلى الله عليه وسلم - بهذه الحقوق، وهذه الأوصاف ونحوها، ولكنهم لا يعطونه شيئا من حق الله: كالدعاء، والخوف، والرجاء، والتوكل، والاستعانة، والإنابة، والتعظيم، والركوع، والسجود، ونحوها، فكلها حقوق لله تعالى، لا يصلح صرفها لغيره، لا لملك مقرب ولا نبي مرسل. وأحب أن أنقل هنا أبياتا في تفصيل حق الله وحق رسوله - صلى الله عليه وسلم - من نونية ابن القيم قال -رحمه الله تعالى- لله حـقُّ لا يكـــون لغـــيره و لعبده حق هما حقّـــــان لا تجعلوا الحقّين حقّا واحـــدا من غير تمييز ولا فرقـــانِ فالحجُّ للرحمن دون رســـوله و كذا الصلاة وذبحُ ذي القربـانِ و كذا السجودُ ونذرُنا ويمينُـنا و كذا عتاب العبد من عصيـــانِ و كذا التوكل والإنابةُ والتقـــى و كذا الرجاءُ وخشيةُ الرحمـنِ و كذا العبـادة واستعانتنـــا به إياك نعبدُ ذاك توحيـــــدانِ وكذلك التسبيحُ والتكبيرُ والتـ هليلُ حقُّ إلهنا الديـــــانِ لكنما التعزير والتوقير حـــق للرسولِ بمقتضى القـــرآنِ والحب والإيمانُ والتصديـــقُ لا يختص بل حقّانِ مشتـــركانِ هذي تفاصيلُ الحقوق ثلاثـــة لا تجهلوها يا أولي العـــدوانِ حق الإلـه عبـادةٌ بالأمـــر لا بهوى النفوسِ فذاك للشيطـانِ ورسولُه فهو المطاعُ وقوله الـ مقبولُ إذ هو صاحب البرهـانِ وهو المقدم في محبتنا عـلى الـ أهليـن والأزواجِ والولـــدانِ وانظر شرح هذه الأبيات في شرح قصيدة الإمام ابن القيم (2-348) للشيخ أحمد بن عيسى رحمه الله. فأئمة الدعوة الذين اقتدوا بالسلف الصالح والأئمة يحبون رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من كل قلوبهم، ويعتقدون أن له عند الله الكرامة والرفعة، والمنزلة العالية، والوجاهة، والقرب من الله، ولكن مع هذه الخصائص لا يصح أن يصرف له شيء من حق الله تعالى، ولا يتوسل بذاته ولا بذات غيره من الخلق، وإنما يتوسل بمحبته واتباعه وتصديقه. ولقد كذب هذا الكاتب في أنهم جعلوا المتوسَّل به كالمتوسل بالصنم، وأنه لا فرق عندهم بين سيد البشر والحجر، نعوذ بالله من البهت والزور والفجور. وهكذا زعمه أنهم نظروا إليه نظرة احتقار كنظرة إبليس لآدم، فكيف احتقروه وهم يشهدون له بالرسالة، ووجوب الطاعة؟! ويرون أن الطرق مسدودة إلا من طريقه، وأن من قدم حكم غيره على حكمه فقد ضل سواء السبيل، فأين الاحتقار الذي زعمه هذا الكاتب؟! فليس مِنْ لازم محبته ووجاهته: دعاؤه مع الله، أو الاستغاثة به دون الله، فالله تعالى يقول: { فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا } والنبي - صلى الله عليه وسلم - يقول: { إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله } رواه أحمد والترمذي عن ابن عباس رواه أحمد في المسند: 1/293، والترمذي برقم (2516) في صفة القيامة، باب "59". . فهذا الكاتب وأمثاله عندهم أن من تمام محبته واعتقاد وجاهته أن يُعظَّم كتعظيم الله، فيُحلَف به من دون الله مع قوله -صلى الله عليه وسلم- { من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك } رواه الترمذي (1535) في النذور والأيمان، باب "ما جاء في كراهية الحلف بغير الله. وأبو داود (325) في الأيمان والنذور، باب "كراهية الحلف بالآباء. وأحمد: 1/47-2/34، 67، 69، 87، 98، 125، 142. عن ابن عمر رضي الله عنه. أو يصرف له شيء من حق الله، أو يُعَتَقد في ذاته الشريفة أنه يملك الضر والنفع، أو يعلم الغيب، أو نحو ذلك ، فليس هذا من لوازم الإيمان برسالته، ولا من علامات محبته، وإنما هو من الغلو الذي نهى عنه بقوله -صلى الله عليه وسلم- { وإياكم والغلو في الدين } حديث صحيح، انظر السلسلة الصحيحة: رقم (1283). وبقوله: { لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله } .